## التفسير والمفسّرون

## صنّف العلماء كثيرا في التفسير وتاريخه، ومن أشهر المصنّفات: طبقات المفسّرين للسيوطي، وطبقات المفسّرين لتلميذه الداودي، وحديثا: التفسير والمفسّرون للشيخ محمد حسن الذهبي، والتفسير ورجاله للشيخ ابن عاشور صاحب التحرير والتنوير.

## نشأة التفسير والحاجة إليه:

## المرحلة الأولى: عصر ما قبل التدوين: هذه المرحلة، هي مرحلة النبوّة، واقتصرت على ما فسّره الرسول صلّى الله عليه وسلّم ثمّ الصحابة الكرام من بعده؛ لأسباب كثيرة أهمّها علمهم وانغماسهم في اللغة وتطبيقهم القرآن حفظا وعملا، ووجود الرسول بين ظهرانيهم. فقد فهموا تفسير القرآن من القرآن نفسه ومن السنة النبويّة المشرّفة. مثلا: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾المائدة:1 فقد فسّرتها الآية التي بعدها: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾المائدة:3 وقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾البقرة: (37)، فسرها قوله تعالى: ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾الأعراف:23، وكذلك تفسير الظلم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾الأنعام:82، فُسّر الظُّلم بالشرك لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾لقمان:13

## ومن الأمثلة على تفسير القرآن بالسنّة ما أخرجه البخاري وغيره في باب التفسير(يُمكن مراجعته) ففي مسلم تفسير القوّة بالرمي، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾الأنفال:60، قال صلّى الله عليه وسلّم: ألا إنّ القوّة الرّمي.

## التفسير والتأويل:

## قد يُستَخدم المصطلحان لمعنى واحد، وقد يُفرّق العلماء بينهما، من حيث كون التفسير أعم من التأويل.

## التفسير في عهد الصحابة:

## تفاوت الصحابة في تفسير القرآن، وأشهر من عُرف بالتفسير منهم: الخلفاء الراشدون، وابن مسعود، وابن عبّاس، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزّبير. وربّما كان ابن عبّاس أشهرهم جميعا لدعوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

## ومن الأمثلة على تفسير ابن عبّاس، تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾البقرة:266

## 4538 - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ، يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَسَمِعْتُ أَخَاهُ أَبَا بَكْرِ بْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ، يُحَدِّثُ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِيمَ تَرَوْنَ [ص:32] هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ} [البقرة: 266]؟ قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَغَضِبَ عُمَرُ فَقَالَ: «قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لاَ نَعْلَمُ»، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، قَالَ عُمَرُ: «يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلاَ تَحْقِرْ نَفْسَكَ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: «أَيُّ عَمَلٍ؟» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: «لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ، فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ»البخاري/31/6

## وكذلك تفسيره المشهور لسورة النصر: 4970 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ} [النصر: 1]؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا، وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: «هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ لَهُ»، قَالَ: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ} [النصر: 1] «وَذَلِكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ»، {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر: 3]، فَقَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ»البخاري/6/179

## أسباب قلّة الروايات في عهد الصّحابة:

## لم يكن التفسير في عهد الصحابة كثيرا، ولعلّ السبب يرجع إلى تفسيرهم القرآن تفسيرا عمليّا حسب ما تقتضيه الوقائع والحوادث إضافة إلى لغتهم العالية ودقّة فهمهم وصفاء عقيدتهم. وليس كما يُقال من أنّ سبب قلّته عدم نضج العقلية عند المسلمين.

## أخبار أهل الكتاب ليست من مصادر التفسير عند الصّحابة، فهذا علم لا ينفع وجهل لا يضر، فالعلم عندهم إمّا آية محكمة، أو فريضة قائمة، أو سنّة متّبعة.

## التفسير في عهد التّابعين:

## قال صلّى الله عليه وسلّم: خير النّاس قرني، ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم"رواه البخاري. والسؤال في هذا المقام: هل تفسير التّابعين من المأثور أم لا؟

## ميزات التفسير في عهد التّابعين:

## اعتمدوا ما اعتمده الصّحابة رضوان الله عليهم، الكتاب والسنّة وكذلك اجتهاد الصّحابة رضوان الله عليهم أحيانا، يساعدهم في ذلك سعة معرفتهم باللغة العربية، وعلمهم بأسباب النّزول وغير ذلك من شروط المفسّر وآدابه، إلا أنّهم اعتمدوا كذلك ما نُقِل عن أهل الكتاب، إضافة إلى ظهور الخلافات المذهبية في هذه الفترة التي لم تكن ظهرت في عصر الصّحابة رضوان الله عليهم، إضافة إلى أنّ بذرة التفسير بالرّأي ظهرت في عصر التّابعين.

## أشهر المفسّرين في عهد التّابعين:

## اشتهر من حواضر العالم الإسلامي في التفسير أيّام التّابعين رضوان الله عليهم: مكة والمدينة والكوفة، ففي مكّة مدرسة ابن عبّاس وتلاميذه فيها: سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وطاووس وعطاء، وفي المدينة المنوّرة –على ساكنها أفضل الصّلاة وأتمّ التسليم-أُبيّ بن كعب، ومن تلاميذه: زيد بن أسلم وأبو العالية ومحمّد بن كعب القرظي. وفي الكوفة عبد الله بن مسعود، ومن تلامذته: علقمة بن قيس ومسروق والحسن البصري وقتادة وغيرهم. ثم جاء مَن بعد التّابعين، وحسب ضروريّات الحياة تتسّع الدّائرة، إلى أن وصلنا إلى المرحلة الثّانية وهي مرحلة التدوين.

## أسباب ضعف التّفسير بعد التّابعين:

## من المؤثّرات التي أضعفت التّفسير ظهور الوضع والإسرائيليّات، ولعلّ من أهم أسبابه: الخلاف المذهبي وحذف الأسانيد.

## معنى التّفسير: يقول أبو حيّان: " التَّفْسِيرُ عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّطْقِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ، وَمَدْلُولَاتِهَا، وَأَحْكَامِهَا الْإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ، وَمَعَانِيهَا الَّتِي تُحْمَلُ عَلَيْهَا حَالَةُ التَّرْكِيبِ، وَتَتِمَّاتٍ لِذَلِكَ. فَقَوْلُنَا عُلِمٌ هُوَ جِنْسٌ يَشْمَلُ سَائِرَ الْعُلُومِ. وَقَوْلُنَا يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّطْقِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ هَذَا هُوَ عِلْمُ الْقِرَاءَاتِ. وَقَوْلُنَا وَمَدْلُولَاتِهَا، أَيْ مَدْلُولَاتِ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ، وَهَذَا هُوَ عِلْمُ اللُّغَةِ الَّذِي يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْعِلْمِ. وَقَوْلُنَا وَأَحْكَامِهَا الْإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ هَذَا يَشْمَلُ عِلْمَ التَّصْرِيفِ، وَعِلْمَ الْإِعْرَابِ، وَعِلْمَ الْبَيَانِ، وَعِلْمَ الْبَدِيعِ، وَمَعَانِيهَا الَّتِي تُحْمَلُ عَلَيْهَا حَالَةُ التَّرْكِيبِ شَمِلَ بُقُولِهِ الَّتِي تُحْمَلُ عَلَيْهَا مَا لَا دَلَالَةَ عَلَيْهِ بِالْحَقِيقَةِ، وَمَا دَلَالَتُهُ عَلَيْهِ بِالْمَجَازِ، فَإِنَّ التَّرْكِيبَ قَدْ يَقْتَضِي بِظَاهِرِهِ شَيْئًا، وَيَصُدُّ عَنِ الْحَمْلِ عَلَى الظَّاهِرِ صَادٌ، فَيَحْتَاجُ لِأَجْلِ ذَلِكَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى غَيْرِ الظَّاهِرِ، وَهُوَ الْمَجَازُ. وَقَوْلُنَا، وَتَتِمَّاتٍ لِذَلِكَ، هُوَ مَعْرِفَةُ النَّسْخِ، وَسَبَبِ النُّزُولِ، وَقِصَّةٍ تُوَضِّحُ بَعْضَ مَا انْبَهَمَ فِي الْقُرْآنِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ"1/26

## وعند الزّركشي: التفسير علم يُفهَم به كتاب الله المنزَّل على نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه.

## شروط المفسّر: صحّة الاعتقاد، التجرّد عن الهوى، أن يبدأوا أوّلا بتفسير القرآن بالقرآن، ومن بعد القرآن بالسنّة ثم بأقوال الصّحابة مع العلم باللغة العربيّة وفروعها، ومعرفة العلوم المتّصلة بالقرآن، إضافة إلى دقّة الفهم.

## آداب المفسّر:

## أقسام التفسير:

## أوّلا: التفسير بالمأثور

## التفسير بالمأثور لا مجال فيه إلا للسّماع الثّابت عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، أمّا القضايا اللغوية كالإعراب وأخبار أهل الكتاب فليست من المأثور، حتّى إنّ العلماء تشدّدوا في تفسير الصّحابة رضوان الله عليهم، ورأوا أنّه من التفسير الأثري بشروط، كأن يكون بيانا لمناسبة نزلت بها الآية أو سبب نزول. وفي هذا السّياق لا بد من الإشارة إلى أنّ بعض كتب التّفسير والمغازي والملاحم دخلها الوضع فنبّه العلماء عليها.

## ثانيا: التفسير بالرّأي

## لا شك أنّ التفسير بالرّأي أوسع من التفسير بالمأثور، وهذا اللون غير ممنوع إذا توفّرت شروط المفسّر وآدابه، فإذا تُرك الهوى المتّبع، ولم يكن هناك تعارض مع اللغة، ولا سياق الآيات وما صحّ عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم، مع فهم لحقائق الألفاظ والمفردات، وما يتعلّق باللغة العربية وعلوم القرآن وأحوال البشر وغير ذلك من الشروط المعروفة.

## مرحلة التدوين:

## هناك محاولات في القرن الأول ولكنّها متواضعة مقارنة بالقرن الثّاني وما يليه. ومن المعروف أنّ التفسير بالمأثور كان أوّلا، وذلك بنقل الروايات بأسانيدها دون التعليق عليها في البداية كتفسير عبد الرزّاق الصنعاني ثمّ تدرّج التفسير بالمأثور فجمعوا إليه القراءات وشيئا من الإعراب. ثمّ تتابع التفسير فلم يخل عصر أو قرن من مفسّر ومُؤلَّف، ففي القرن الثالث الإمام الطبري، وفي الرابع النيسابوري والرمّاني، وفي الخامس الطوسي والثعالبي، وفي السادس الزمخشري والطبرسي والعكبري والبغوي، وفي السابع البيضاوي وفي الثامن ابن كثير وأبو حيان الأندلسي، وفي التاسع البقاعي والسيوطي، وفي العاشر ابن كمال باشا وأبو السعود العمادي، وفيا لحادي عشر الشهاب الخفاجي، وفي الثاني عشر عبد الغني النابلسي، وفي الثالث عشر الألوسي، وفي الرابع عشر محمد عبده ورشد رضا.

## مدارس التفسير:

## يعد تفسير ابن جرير الطبري المورد الرئيس لكلّ من جاء بعده من المفسّرين، فلقد كان النّواة الأولى للتفسير بالرّأي، مع جمعه بين المأثور والرّأي، أمّا بالنسبة لما فيه من إسرائيليّات، فقد كان الأخذ عن أهل الكتاب ولكنْ، مع ذِكر الأسانيد، ومن أسند لك فقد أحالك.

## المدرسة البيانية والنحويّة(بلاغة) وعلى رأسها الإمام الزمخشري صاحب الكشّاف، وتفسير الإمام النيسابوري (غرائب القرآن) وتفسير الواحدي(البسيط والوسيط والوجيز)، والرّازي (مفاتيح الغيب) وأبو حيّان(البحر المحيط) والبيضاوي(أنوار التنزيل) وأبو السّعود(إرشاد العقل السليم) والشهاب الخفاجي(عناية القاضي) وغير ذلك من الحواشي على التفاسير البيانية والنحوية.

## التفاسير العقدية: كثيرة هي الكتب التي اهتمت بالعقيدة ومن ذلك: الإمام الرازي في مفاتيح الغيب.

## المدرسة الفقهيّة: لقد تعدّدت تفاسير هذه المدرسة بحسب المذاهب، فعلى المذهب الشافعي: أحكام القرآن للشافعي ومثله للكياالهراسي، وعلى المذهب الحنفي: أحكام القرآن للجصّاص، وفي المذهب المالكي: أحكام القرآن لابن العربي، إلا أنّ أشهر هذه التفاسير الفقهية جميعا وأوسعها تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن)

## المدرسة النحوية: لا يخلو تفسير تقريبا من مسائل نحويّة فكل من كتب في معاني القرآن كالفرّاء والزجّاج والأخفش وغيرهم فقد ناقش وشارك في النحو وغيره من علوم العربيّة. ومع ذلك فتفسير ابن جرير الطبري وكتب إعراب القرآن والمحرّر الوجيز ل ابن عطيّة والبحر المحيط لأبي حيّان تزخر بالقضايا اللغوية إلا أنّ أوسع هذه الكتب إعرابا على وجه الخصوص: الدر المصون للسّمين الحلبي.

## تفاسير الشيعة: وعلى رأسها تفسير الطبرسي(مجمع البيان)، وتفسير الطبطبائي.

## تفاسير الإباضيّة: وعلى رأسها تفسير الشيخ محمد يوسف اطفيِّش، وهميان الزّاد.

## المدرسة الوعظيّة: ولعلّ من أشهر أعلامها: تفسير الخازن والخطيب الشربيني(السّراج المنير).

## المدرسة الصّوفيّة: ومن أشهر أعلامها الإمام الألوسي في تفسيره الكبير(روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسّبع المثاني)

## ومع ذلك فإن تفسير ابن جرير والزمخشري والرّازي تعدّ الأفلاك الرئيسة في التفسير، ولا غنى عنها، فهي العُمَد عند من جاء بعدهم.

## التفسير في العصر الحديث: محمد عبده، ومحمّد رشيد رضا(تفسير المنار)، ومحمّد مصطفى المراغي، ومحمّد شلتوت، وعبد الجليل عيسى(أيسر التّفاسير)، ومحمّد الخضر حسين، ومحمّد أبو زهرة، وعبد الوهّاب خلّاف، وتفسير الجواهر للشيخ الطنطاوي، وعلى رأس كلّ هذه التفاسير(في ظلال القرآن)للشّهيد الأستاذ سيّد قطب رحمه الله. وغي المغرب العربي تفسير الشيخ ابن باديس، والشيخ ابن عاشور(التّحرير والتنوير)، والسيّد الكومي.